هوامش

في يوليو/ تموز من عام 1921، تأسّس الحزب الشيوعي في الصين. وبعد مائة عام، تتعزّز السياحة التي توصف بالحمراء، والهدف منها التعرّف إلى الإرث الثوري وإلى نضال الأجداد والآباء

واحد من المواقع ذات الأهمية الكبرى (تيان منغ/ Getty)

السياحة الحمراء

حين تشدّ الرحال في الصين إلى بيت ماو

بكين ـ **علي أبو مريحيل**

باختصار

في الذكرى المئوية الأولى لتأسيس الحزب الشيوعي الصيني، تزدهر زيارة المواقع ذات الطابع الثوري المرتبطة مباشرة بتاريخ الحزب

■■■

تشمل المواقع السياحية أكثر من 150 معلماً رئيسياً في 13 مقاطعة ومنطقة، أبرزها منزل الزعيم الصيني الراحل ماو تسي تونغ

■■■

تقاليد السياحة الحمراء قائمة في الصين منذ عقود، لكنّ اعتمادها من ضمن خطة سياحة وطنية بدأ في عام 2004

مع احتفاء الصينيين بالذكرى المئوية الأولى لتأسيس الحزب الشيوعي الصيني هذا العام، تزدهر زيارة المواقع ذات الطابع الثوري في البلاد والتي ترتبط مباشرة بتاريخ الحزب، وهو ما يعرف على نطاق واسع باسم «السياحة الحمراء». وتشمل المواقع السياحية أكثر من 150 معلماً رئيسياً في 13 مقاطعة ومنطقة، أبرزها منزل الزعيم الصيني الراحل ماو تسي تونغ في مقاطعة خونان جنوبي البلاد الذي يستقبل يومياً ما لا يقل عن عشرة آلاف زائر، بالإضافة إلى مناطق أخرى لا تقل أهميّة عنه من قبيل بحيرة نانخو في مقاطعة تشجيانغ حيث عُقد المؤتمر الوطني الأوّل للحزب الشيوعي الصيني على متن قارب في عام 1921، ومنطقة يان آن في مقاطعة شانشي التي تُعَدّ القاعدة الثورية لماو تسي تونغ والتي بلغها الجيش الأحمر في أثناء المسيرة الكبرى، ونان تشانغ عاصمة مقاطعة جيانغ شي التي شهدت انتفاضة مهمّة في عام 1927 بقيادة رئيس الوزراء الصيني السابق تشو إن لاي.

وعلى الرغم من أنّ تقاليد السياحة الحمراء قائمة في الصين منذ عقود، فإنّ اعتمادها من ضمن خطة سياحة وطنية على مستوى البلاد بدأ في عام 2004، وتسعى السلطات الصينية من خلالها إلى الترويج للمواقع ذات الأهمية التاريخية والثقافية بالنسبة إلى الحزب الشيوعي مع توفير قوّة دفع للحركة السياحية الداخلية. وكانت إدارة التراث الثقافي في الصين قد أعلنت في وقت سابق أنّ مواقع السياحة الحمراء جذبت قبل تفشّي فيروس كورونا الجديد في عام 2019 ما يُقدَّر بنحو 1,4 مليار زيارة، أي ما يعادل عدد سكان الصين. كذلك حقّقت إيرادات بقيمة 62,2 مليار دولار أميركي، بحسب الإدارة نفسها.

منذ وصول الرئيس الصيني الحالي شي جين بينغ إلى سدة الحكم عام 2012، راح يروّج بقوة للسياحة الحمراء بهدف تعزيز «الانتماء» من خلال إطلاع الأجيال الجديدة على تاريخ الحزب الشيوعي. وكانت وسائل إعلام صينية رسمية قد نقلت عن الرئيس قوله: «يجب علينا الاستفادة بصورة جيدة من هذه الموارد والعمل على توريث الجينات الحمراء من جيل إلى آخر»، مؤكداً أنّه «من خلال الاطّلاع على تجربة الأسلاف واختبار صعوبات العصر الثوري، يمكن للناس أن يتلقوا تعليماً حقيقياً».

إيمان الشباب بالقيم

ويرى منظّرو الحزب أنّ السياحة الحمراء تساعد الشعب الصيني في مراجعة صعود الدولة ونهوض الأمّة الصينية، وأنّ من شأن ذلك أن يجعل الناس، خصوصاً فئة الشباب، يوطّدون إيمانهم بالقيم الاشتراكية ليدركوا في النهاية أنّ طريق الاشتراكية ذا الخصائص الصينية هو السبيل الوحيد نحو الاستمرار في مسيرة التنمية بقيادة الحزب الشيوعي.

لي تياو واحدة من هؤلاء الشباب، وهي طالبة في جامعة بكين للدراسات زارت أخيراً مناطق حمراء عدّة من ضمن مجموعات طالبية. تقول لـ«العربي الجديد»: «أحرص في كلّ عام على استغلال وقت الإجازة للقيام بمثل هذه الرحلات. من المفيد والمثير الاطّلاع على إرث القادة الذين ضحّوا بحياتهم من أجلنا». تضيف: «زرت شاوشان، مسقط رأس الزعيم ماو تسي تونغ، وشاهدت السرير البسيط الذي كان ينام عليه في غرفة صغيرة. كذلك زرت جبل جينغ قانغ في مقاطعة جيانغ شي، وشاهدت بأمّ عيني آثار الجيش الأحمر. وهناك أقمنا مجسّماً للرقم مائة مؤلفاً من 400 طالب احتفاء بالذكرى المئوية لتأسيس الحزب. وقد انتشرت صورتنا بشكل واسع على منصات التواصل الاجتماعي». ولا تخفي شعورها بـ«السعادة والفخر لأنّني كنت جزءاً من هذا العمل».

وفي ردّ على سؤال حول ما إذا كانت قد دُفعت للقيام بمثل هذه الزيارة، تقول لي تياو: «لست في حاجة إلى دفع من أجل الاطّلاع على تاريخ بلدي. هي مزارات مفتوحة دائماً، غير أنّ الأمر تزامن هذا العام مع الذكرى المئوية الأولى لتأسيس الحزب، وهو ما أعطى زخماً كبيراً وشكّل دافعاً إضافياً لزيارة المواقع الثورية، خصوصاً منزل ماو تسي تونغ مؤسس الجمهورية الحديثة». وتتابع أنّ «ثمّة مرافق وخدمات جديدة في تلك المواقع بالإضافة إلى العروض الفلكلورية المصاحبة في كلّ منطقة، من قبيل عرض أفلام قصيرة ثلاثية الأبعاد تجسّد المعارك والملاحم التي خاضها الثوّار ضد اليابانيين والكومينتانغ في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي، ساهمت ربّما في جعل الشباب أكثر انجذاباً إلى السياحة الحمراء. لكنّه في المقام الأوّل يأتي الشعور بالفخر والاعتزاز والاعتداد بالهوية الوطنية».

تعزيز الأيديولوجيا

من جهته، يوضح رئيس شعبة التراث في المركز الثقافي الوطني في مقاطعة فوجيان، تشانغ وان، أنّ «الهدف من الترويج للسياحة الحمراء لا يأتي فقط لأغراض تجارية وتحقيق عائدات مادية كبيرة بالنسبة إلى قطاع السياحة في البلاد، بل ثمّة حاجة إلى تعزيز الأيديولوجيا الحزبية عند الشباب من خلال ربطهم بتاريخ وطنهم ورموزه». يضيف، متحدثاً لـ«العربي الجديد»، أنّه «لا شكّ في أنّ السياحة الحمراء جلبت عائدات ضخمة أدّت دوراً مهماً في انتعاش الاقتصاد الوطني بعد أزمة كورونا، لكنّ الأهم هو نشر الوعي حول تاريخ الحزب الشيوعي وتذكير الأجيال الجديدة بالتضحيات التي قدّمها قادة الحزب من أجل النهوض بالأمة الصينية والعبور بها إلى برّ الأمان بعدما عانت لعقود من الحروب والنزاعات والأطماع الاستعمارية». ويلفت تشانغ إلى أنّ «شباب اليوم أكثر فخراً بتاريخ بلدهم، ولديهم فضول كبير للتعرّف إلى المراحل المفصلية التي مرت بها الصين، من قبيل المسيرة الكبرى للجيش الأحمر التي استمرّت عاماً كاماً قطع في خلاله الثوّار أكثر من تسعة آلاف كيلومتر، وكذلك المعارك ضدّ الجيش الياباني، وصعود ماو تسي تونغ إلى السلطة، وغيرها من أحداث». ويتابع أنّ «عطلة عيد العمّال في شهر مايو/ أيار الماضي شهدت نمواً كبيراً في زيارة المواقع التراثية بنسبة 300 في المائة مقارنة بالعام السابق»، موضحاً أنّ «الشباب الذين تراوح أعمارهم ما بين 20 عاماً و30، شكّلوا نحو 45 في المائة من عدد الزائرين الإجمالي للمواقع الحمراء في خلال العام الجاري». ويؤكد أنّ «هذا هو جوهر صناعة السياحة الحمراء في البلاد».

وأخيراً

السياب والسبتي... أي علاقة؟

سعدية مفرح

يقول الشاعر الكويتي علي السبتي، الذي رحل منتصف الأسبوع الجاري عن 86 عاماً، في قصيدته «فترة استراحة»:

أحملُ في رأسي همومَ جيلين/ جيلٍ يكادُ يخطر العذاب
وآخرٍ تو ابتدا في سلَّم العذاب/ فهو يعيش نارين نارَ انتظارهِ../ ونار أن تموتَ النارُ في التراب..

ومنذ ديوانه الأول «بيوت من نجوم الصيف»، والذي صدر في نهاية الستينيات، مع أن معظم قصائده كتبها قبل ذلك التاريخ بكثير، حتى ديوانه الأخير «وعادت الأشعار» وصدر في نهاية التسعينيات، ظل علي السبتي، رحمه الله، ذلك الشاعر الذي يحمل في رأسه هموم جيلَيْن، حتى بعد أن عايش أكثر منهما في سنوات عمره التي تجاوزت الثمانين بست سنوات. لقد بقي متأرجحا دائما في أفكاره وشعريّته ما بين جيلين يمرّ بينهما، ويحاول ألا ينتمي، لا في أفكاره ولا في قصائده، إلى أي منهما، لا حفاظا على نزعته الاستقلالية في فتراتٍ عايشها كانت تموج بالاستقطابات الفكرية والسياسية وحسب، ولكن أيضا لأنه، كما بدا لي من قراءة آثاره الشعرية، ظل حائرا في ما يمكن أن يكون عليه إنسانا وشاعرا في محاولاته الدؤوب، للبحث عن الذات بعيدا عن كل هؤلاء الذين وصفهم بقوله: «كلهم سفلة/ القتيل، ومن قتله». كما يمكن إدراج علاقة السبتي الوثيقة بصديقه الشاعر الراحل بدر شاكر السياب، ضمن الأسباب التي قد تفسر حيرته بين جيلين دائما، وإنْ كان أثرا منقطعا!

وفي كتابي «حداة الغيم والوحشة» أشرت إلى شيء من تلك العلاقة، وأثرها في تجربتَي الشاعرين الكويتيين، علي السبتي ومحمد الفايز، ليس باعتبارهما من أقرب شعراء الكويت إلى السياب وحسب، بل أيضا أكثر من تأثر بتجربته التحديثية في كتابة القصيدة العربية. وقد تلاشى ذلك التأثر بعد رحيل السياب تقريبا، ولم تعد تظهر الأطياف السيابية في قصائد السبتي والفايز، بل لعلهما فضّلا العودة إلى القصيدة التقليدية في معظم ما نشرا لاحقا.

كتبت في الكتاب «الغريب، والذي لا يبدو متسقا مع تلك البداية الشعرية الجريئة للفايز والسبتي، ذلك الطور التقليدي التراجعي الذي انتهى إليه الشاعران، خصوصا في إصداراتهما الشعرية الأخيرة، فقد دأب الفايز، قبل رحيله بسنوات، على نشر قصائده في الصحافة اليومية بشكل يومي تقريبا، وعلى مدى فترة زمنية طويلة نسبيا، قبل إنشائهما مجموعات شعرية، مما يجعلنا نضع أكثر من علامة استفهام في نهاية رصدنا للمراحل الشعرية التي مر بها الشاعر الراحل، يجدر بدارسيه . إن وجدوا . البحث فيها. أما علي السبتي، فيكفي أن نقارن عنواني مجموعتيه «شاعر في الهواء الطلق» و«بيت من نجوم الصيف»، بعنوان مجموعته الأخيرة التي أصدرها بعد توقف طويل عن النشر، بعنوان «وعادت الأشعار»، لنكتشف ما يمكن أن نسمّيها بظاهرة التقهقر الشعري التي عانى منها السبتي، ومن قبله الفايز، وربما شعراء آخرون وإن بدرجات أقل».

> يمكن إدراج علاقة الشاعر علي السبتي الوثيقة بصديقه السياب ضمن الأسباب التي قد تفسر حيرته بين جيلين دائماً

ومع اكتمال التجربة الشعرية للسبتي الآن، وقبله بثلاثين عاما تقريبا للفايز، بالموت، سيكون من المناسب والملحّ جدا دراسة العلاقة بين ما تركاه لنا من آثار شعرية مع ما تركه السياب، رحمهم الله جميعا، فتلك العلاقة تبدو لنا، في قراءاتٍ متفرّقة وسريعة، أبعد من مجرّد تأثر تفرضه هيمنة السياب التجديدية على شعراء ذلك الجيل، خصوصا أولئك الذين قدّر لهم أن يقتربوا منه على النحو الذي اقترب فيه منه الفايز والسبتي في أيامه الأخيرة على فراش المرض في المستشفى الأميري في الكويت. وفي التاريخ الشعري للشعراء الثلاثة من الإثارة ما يجعله مغريا دائما للدراسة والبحث، بعيدا عن فكرة حجاب المعاصرة!

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**